الباب الأول

مقدمة

الفصل الأول: خلفية البحث

اللغةُ مِن أعظمِ النِّعَمِ التي يمتلكُها الإنسانُ بوصفِه كائنًا اجتماعيًّا. فمِن خلالِ اللغةِ يستطيعُ الإنسانُ أن يعبِّرَ عن أفكارِه ومشاعرِه وتصوُّراتِه لغيرِه. واللغةُ أكثرُ مِن مجرَّدِ أداةٍ للتواصل، بل هي أيضًا مرآةٌ تعكسُ حضارةَ الأمّةِ وهويَّتَها. ويرى خير, Chaer أنَّ اللغةَ نظامٌ مِن الرموزِ الصوتيّةِ الاعتباطيّةِ المنتِجةِ والديناميكيةِ والإنسانيّةِ، تُستخدَمُ أداةً للتواصل الاجتماعي (Chaer, ٢٠١٢). وفي السياق ذاته، يعرِّف كريدالاكسانا Kridalaksana اللغةَ بأنَّها نظامٌ مِن الرموزِ الصوتيّةِ الاعتباطيّةِ يستخدمُه أفرادُ الجماعةِ الاجتماعيّةِ للتعاونِ والتواصلِ وتحديدِ الهويّةِ (Kridalaksana, ١٩٨٢). كما يرى كيراف Keraf أنَّ اللغةَ أداةٌ للتواصلِ بين أفرادِ المجتمعِ في صورةِ رموزٍ صوتيّةٍ ينتجُها جهازُ النطقِ الإنسانيّ (Keraf, ١٩٩٧).

اللغةُ العربيّةُ، بوصفِها إحدى أقدمِ اللغاتِ وأغناها في العالم، تتمتَّعُ بخصائصَ فريدةٍ تميّزُها عن سائرِ اللغاتِ الأخرى. ولا يكمُنُ جمالُ اللغةِ العربيّةِ في ثراءِ مفرداتِها فحسب، بل يكمُنُ أيضًا في تنوُّعِ تراكيبِها وأساليبِها، الأمرُ الذي يُمكّنُ متحدِّثيها مِن التعبيرِ عن أدقِّ المعاني وأعمقِها. وتتجلّى هذه الثروةُ اللغويّةُ بوضوحٍ في مختلفِ أشكالِ الأدبِ العربيّ، لا سيَّما الشعرِ والنثرِ. وكلاهما شكلٌ مِن أشكالِ التعبيرِ الأدبيّ، وُلِدَ مِن امتزاجِ العقلِ والوجدانِ والخيالِ الإنسانيّ، وما زال يتطوَّرُ تطوُّرًا سريعًا عبرَ العصورِ. فمِن خلالِ الشعرِ والنثرِ، استطاعَ الأدباءُ أن يُفرِغوا أفكارَهم وعواطفَهم ونقدَهم الاجتماعيَّ وقيَمَ الحياةِ في أسلوبٍ جميلٍ حافلٍ بالمعاني (Ammany, ٢٠٢٢).

ومِن أغنى مجالاتِ الدراسةِ في اللغةِ العربيّةِ وأعمقِها علمُ البلاغةِ. ولفظُ "البلاغة" في اللغةِ مشتقٌّ مِن "بلغَ" بمعنى "وصلَ" أو "حقَّقَ الغايةَ". وبناءً على هذا المعنى، يُوصَفُ المتكلِّمُ بأنَّه بليغٌ إذا استطاعَ أن يُوصِلَ رسالتَه بحيث يفهمُها السامعُ فهمًا واضحًا وفعّالًا ويترُكُ في نفسِه أثرًا عميقًا. وعلى

هذا، يمكنُ فهمُ البلاغةِ بوصفِها علمًا يبحثُ في كيفيّةِ إيصالِ المعنى بدقّةٍ وعلى أفضلِ وجهٍ (عتيق, ٢٠٠٦). أمّا اصطلاحًا، فالبلاغةُ هي القدرةُ على التعبيرِ عن الفكرةِ بعبارةٍ واضحةٍ وجميلةٍ تُلائمُ مقتضى الحالِ وظروفَ الكلامِ (لجارم & أمين, ١٩٥١).

ولا يمكنُ التقليلُ مِن شأنِ أهميّةِ علمِ البلاغةِ في دراسةِ اللغةِ العربيّةِ وأدبِها. فبدونِ إتقانِ البلاغةِ، لن يستطيعَ المرءُ أن يدركَ عظمةَ القرآنِ الكريمِ، ولا جمالَ الشعرِ العربيّ، ولا عمقَ النثرِ الكلاسيكيّ والحديثِ إدراكًا كاملًا (الهاشمي, ١٩٩٤). بل إنَّ البلاغةَ ليست علمًا يُعنى بجمالِ اللغةِ فحسب، وإنّما هي أيضًا علمُ الدقّةِ، أي كيف تكونُ العبارةُ جميلةً مِن الناحيةِ الجماليّةِ، ومطابِقةً في الوقتِ ذاتِه للسياقِ، وفعّالةً مِن الناحيةِ التواصليّةِ. وهذا ما يجعلُ البلاغةَ علمًا بالغَ الصلةِ بدراسةِ الأعمالِ الأدبيّةِ العربيّةِ، إذ توفّرُ أداةَ تحليلٍ شاملةً لتفكيكِ الجمالِ وعمقِ المعنى الكامنِ خلفَ كلِّ عبارةٍ.

وينقسمُ علمُ البلاغةِ إلى ثلاثةِ فروعٍ رئيسةٍ يُكمّلُ بعضُها بعضًا. أوّلُها علمُ البيانِ، الذي يبحثُ في كيفيّةِ التعبيرِ عن المعنى مِن خلالِ أساليبَ لغويّةٍ مختلفةٍ كالتشبيهِ والمجازِ والكنايةِ. وثانيها علمُ المعاني، الذي يبحثُ في أحوالِ التركيبِ العربيّ بما يُلائمُ السياقَ ومقتضى الحالِ. وثالثُها علمُ البديعِ، الذي يبحثُ في المحسّناتِ اللفظيّةِ والمعنويّةِ التي تُضفي على العبارةِ جمالًا (الهاشمي, ١٩٩٤). وتعملُ هذه الفروعُ الثلاثةُ معًا في تشكيلِ منظومةٍ شاملةٍ لدراسةِ اللغةِ العربيّةِ، ومِن بينِها يُعَدُّ علمُ المعاني أوثقَ الفروعِ صلةً بتحليلِ المعنى وبنيةِ الخطابِ في الأعمالِ الأدبيّةِ العربيّةِ.

ويُعَدُّ علمُ المعاني أحدَ فروعِ البلاغةِ التي تضطلعُ بدورٍ محوريٍّ في تحليلِ تركيبِ الجملةِ العربيّةِ وكيفيّةِ إيصالِ المعنى. فعلمُ المعاني، كما يُعرَّفُ، هو العلمُ الذي يبحثُ في أحوالِ التركيبِ العربيّ مِن حيثُ مطابقتُه لمقتضى الحالِ (الهاشمي, ١٩٩٤). وهذا يعني أنَّ دقّةَ الجملةِ، في نظرِ هذا العلمِ، ذاتُ طبيعةٍ مزدوجةٍ: إذ يجبُ أن تستوفيَ القواعدَ النحويّةَ، وأن تتّسقَ في الوقتِ نفسِه مع السياقِ المحيطِ بها. ومِن أهمِّ المباحثِ في علمِ المعاني مبحثُ الأسلوبِ، الذي يشملُ الأسلوبَ الخبريَّ والأسلوبَ الإنشائيَّ وسائرَ صيغِ التعبيرِ الأخرى، ولكلٍّ منها وظيفتُها وغايتُها التواصليّةُ الخاصّةُ.

يبحثُ علمُ المعاني في تراكيبِ الجملةِ العربيّةِ التي تُوظَّفُ للتعبيرِ عن أفكارِ المتكلِّمِ وفقًا لمقتضى الحالِ. ومِن خلالِ فهمِ هذا الفرعِ مِن علومِ البلاغةِ، يستطيعُ المرءُ أن يتبيَّنَ موضعَ إعجازِ القرآنِ الكريمِ، الذي يتجلّى في تناسقِ تركيبِه اللغويّ ذي القيمةِ الجماليّةِ العاليةِ، الموجزِ لفظًا والحافلِ معنًى.

ولا تنشأُ دراسةُ علمِ المعاني، وفقَ التعريفِ السابقِ، مِن فراغٍ، بل تستندُ إلى دافعٍ تاريخيٍّ عميقٍ في تراثِ الدرسِ البلاغيّ العربيّ. فمنذُ عصرِ الإسلامِ الأوّلِ، كان دارسو البلاغةِ مدفوعين أساسًا بغايتَينِ رئيستَينِ: غايةٍ خاصّةٍ ذاتِ طابعٍ دينيٍّ، تتمثَّلُ في إثباتِ إعجازِ القرآنِ الكريمِ، وغايةٍ عامّةٍ ذاتِ طابعٍ أدبيٍّ، تتمثَّلُ في القدرةِ على التمييزِ بينَ الكلامِ الفصيحِ وغيرِ الفصيحِ في الشعرِ والنثرِ العربيَّينِ عمومًا.

ويذكرُ عبدُ القاهرِ الجرجانيُّ في كتابِه "دلائل الإعجاز" (الجرجاني, ٢٠٠٤) أنَّ إعجازَ القرآنِ الكريمِ يكمُنُ في بلوغِه مِن الفصاحةِ درجةً تفوقُ طاقةَ البشرِ العاديّينَ، وهي درجةٌ لا يدركُها إلّا مَن عرفَ الشعرَ بوصفِه ذروةَ ما بلغتْه فصاحةُ العربِ. وكان هذا الرأيُ أحدَ أهمِّ الدوافعِ الفلسفيّةِ الأولى التي أفضتْ إلى نشأةِ الدراسةِ المنهجيّةِ للبلاغةِ، بما في ذلك علمُ المعاني.

ومع أنَّ موضوعَ هذه الدراسةِ ليس القرآنَ الكريمَ، وإنّما مجموعة المقالية "حماري قال لي" لتوفيق الحكيم، فإنَّ الغايةَ العامّةَ للدراساتِ البلاغيّةِ تظلُّ ذاتَ صلةٍ وثيقةٍ، وهي الكشفُ عن القواعدِ التي تجعلُ الكلامَ مطابقًا لمقتضى الحالِ ودالًّا على معناه في سياقِه. وكما تقرَّرَ في تعريفِ علمِ المعاني آنفًا، فإنَّ جوهرَ هذا العلمِ هو مطابقةُ اللفظِ لمقتضى الحالِ، وهو مبدأٌ ينطبقُ انطباقًا عامًّا على كلِّ كلامٍ عربيٍّ، سواءٌ أكان مقدَّسًا كالقرآنِ الكريمِ أم دنيويًّا كالأعمالِ الأدبيّةِ العاديّةِ. وبناءً على ذلك، فإنَّ تطبيقَ نظريّةِ علمِ المعاني، ولا سيَّما في تحليلِ الاستفهامِ، على نصِّ "حماري قال لي" يُعَدُّ امتدادًا مشروعًا للغايةِ العامّةِ لدراساتِ البلاغةِ، أي فهمُ كيفيّةِ صياغةِ الكاتبِ لكلامِه بما يتناسبُ مع سياقِ الحوارِ الفلسفيِّ الساخرِ الذي يُميِّزُ هذا المجموعة المقالية.

ومِن أهمِّ المباحثِ في علمِ المعاني مبحثُ أسلوبِ الاستفهامِ. والاستفهامُ هو طلبُ العلمِ بشيءٍ لم يكن معلومًا مِن قبلُ (الهاشمي, ١٩٩٤). ولإفادةِ الاستفهامِ، تستخدمُ اللغةُ العربيّةُ ألفاظًا أو

أدواتٍ خاصّةً تُسمّى أدواتِ الاستفهامِ. ويرى الهاشميُّ أنَّ أدواتِ الاستفهامِ إحدى عشرةَ أداةً، وهي: الهمزةُ (أ)، وهل، وما، ومَن، ومتى، وأيّانَ، وكيف، وأينَ، وأنّى، وكم، وأيّ. ولكلِّ أداةٍ مِن هذه الأدواتِ وظيفتُها ومعناها الخاصُّ بحسبِ سياقِ الجملةِ قبلَها وبعدَها.

وفي الواقعِ، لا يقتصرُ الاستفهامُ على طلبِ الإيضاحِ أو المعلوماتِ عمّا هو مجهولٌ فحسب، بل كثيرًا ما يحملُ معانيَ أخرى متنوّعةً. وهذا الثراءُ في المعنى هو ما يجعلُ الاستفهامَ مِن أكثرِ الأساليبِ جاذبيّةً للدراسةِ في الأدبِ العربيِّ.

ومِن أدباءِ العربِ المحدَثينَ الذين تزخرُ أعمالُهم بأساليبَ بلاغيّةٍ غنيّةٍ، توفيق الحكيم (١٨٩٨–١٩٨٧)، أحدُ أعظمِ الأدباءِ العربِ في القرنِ العشرينَ، وُلِدَ في مصرَ. عُرِفَ بلقبِ "أبي الدراما العربيّةِ الحديثةِ"، غيرَ أنَّ أعمالَه لم تقتصرْ على الدراما فحسب، بل كتبَ الروايةَ والمقالةَ وسائرَ فنونِ النثرِ التي كان لها أثرٌ بالغٌ في الأدبِ العربيِّ الحديثِ. ومِن أبرزِ أعمالِه: أهلُ الكهفِ، وشهرزادُ، ويومياتُ نائبٍ في الأريافِ، وحماري قال لي.

تُعَدُّ مقالة حماري قال لي مجموعةً من المقالات الحوارية التي تُصوِّر محادثاتٍ بين الحكيم وحمارٍ اتَّخذه بديلاً عن ذاته أو مرآةً تعكس شخصيته. ومن خلال هذه الحوارات التي تبدو خفيفةً وساخرةً في ظاهرها، يوجِّه الحكيم في حقيقة الأمر نقداً لاذعاً لقضايا اجتماعية وسياسية وثقافية وإنسانية متعددة، بدءاً من نفاق المجتمع والمادية، مروراً باستبداد الحكام، وانتهاءً بالحرب والسلام العالميين.

وممَّا يستأثر باهتمام الباحث في هذا الكتاب ثراءُ استخدام الحكيم لأسلوب الاستفهام وتنوُّعه. ففي كلِّ حوارٍ تقريباً تَرِدُ جملٌ استفهامية تستخدم أدواتٍ مختلفةً بمعانٍ متباينة، منها ما هو استفهامٌ حقيقي. وعلى سبيل المثال، وردت في أحد حوارات الكتاب الجملة التالية:

"لماذا كان الطوفان وكانت السفينة !؟"

استُخدِمت في هذه الجملة أداة الاستفهام "لماذا"، التي تُستعمل أصلاً للسؤال عن سبب وقوع الشيء أو علَّته. وقد طرح الحمارُ هذا السؤال على الحكيم ليعرف وجهة نظره في حادثة سفينة نوح عليه السلام، قبل أن يُبدي الحمارُ رأيه ونقده الخاص. فأجاب الحكيمُ موضِّحاً أنَّ الطوفان العظيم وقع بسبب الظلم والفساد والضلال وعبادة الأصنام التي عمَّت الأرض. ولما كان هذا السؤال طلباً حقيقياً للجواب وحصولاً فعلياً عليه يُبيّن سبب الحادثة، فإنَّ هذا الاستفهام يُصنَّف استفهاماً حقيقياً.

وإلى جانب استخدام الاستفهام الحقيقي المذكور، لا يقلُّ عدد الاستفهامات في هذا الكتاب التي خرجت عن معناها الأصلي إلى معنًى مجازي، أي حين يكون المتكلِّم عالماً بالجواب فعلاً ولا يتوقَّع تفسيراً من مخاطَبه، بل يحمل السؤالُ مقصداً ومعنًى بلاغياً معيَّناً وراءه. ومثال ذلك ما ورد في حوارٍ آخر من الجملة التالية:

"هل سمعت منذ بدء التاريخ أن فصيلة الحمير عبدت أصناماً؟"

استُخدِمت في هذه الجملة أداة الاستفهام "هل". وهذه الجملة في ظاهرها استفهامٌ، غير أنَّها بلاغياً ليست استفهاماً محضاً يطلب جواباً، بل تحمل معنى الإنكار الذي يؤكِّد أنَّ الحمار لم يعبد الأصنام قطُّ، بخلاف الإنسان. وهذا ما يُسمِّيه علمُ المعاني بخروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، وهو الإنكار.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

ويدلُّ هذان المثالان على أنَّ الحكيم لم يستخدم أسلوب الاستفهام استخداماً واحداً رتيباً، بل استخدمه استخداماً متنوِّعاً، سواء للدلالة على المعنى الحقيقي أم المجازي، بحسب السياق والغرض التواصلي في كلِّ حوار. وهذا التنوُّع هو ما يجعل دراسة أسلوب الاستفهام في "حماري قال لي" جديرةً بمزيدٍ من البحث.

كما أنَّ أنواع الأدوات المستخدمة متنوِّعةٌ أيضاً، ولا تقتصر على أداةٍ واحدة. وهذا الاستخدامُ المتعدِّد لأدوات الاستفهام بمعانٍ متشعِّبة هو ما يجعل كتاب "حماري قال لي" جديراً بأن يُدرَس دراسةً شاملةً من منظور علم المعاني، لا على نوعٍ واحدٍ من المعنى فحسب، بل على جميع أطياف معاني الاستفهام الواردة فيه.

الدراساتُ السابقةُ حولَ الاستفهامِ في علمِ المعاني رَكَّزَتْ في غالبِها على القرآنِ الكريمِ أو نصوصٍ أخرى، غيرَ أنّه لم تُوجَدْ بعدُ دراسةٌ تتناولُ خصيصًا تنوُّعَ الاستفهامِ الحقيقيّ والمجازيّ في "حماري قال لي."

وبناءً على ما سبقَ، رأى الباحث ضرورةَ إجراءِ دراسةٍ علميّةٍ معمَّقةٍ حولَ الاستفهامِ بصورةٍ شاملةٍ في مجموعة المقالية "حماري قال لي" لتوفيق الحكيم. ولذلك، اختار الباحث موضوعَ الدراسةِ: "الاستفهامُ في مجموعة المقالية حماري قال لي لتوفيق الحكيم (دراسةٌ علمِ المعاني)".

الفصل الثاني: تحديد البحث

بعد بيان خلفية البحث، تتمثل الأسئلة التي يسعى هذا البحث إلى الإجابة عنها فيما يأتي:

١. ما هي أدوات الاستفهام في مجموعة المقالية حماري قال لي لتوفيق الحكيم؟

٢. ما هي معاني الاستفهام في مجموعة المقالية حماري قال لي لتوفيق الحكيم؟

الفصل الثالث: أغراض البحث

انطلاقًا من الأسئلة التي يسعى هذا البحث إلى الإجابة عنها، تتمثل أهداف هذا البحث فيما يأتي:

١. معرفة أدوات الاستفهام في مجموعة المقالية حماري قال لي لتوفيق الحكيم.

٢ .معرفة معاني الاستفهام في مجموعة المقالية حماري قال لي لتوفيق الحكيم.

الفصل الرابع: فوائد البحث

يُتوقَّع أن تسهم دراسة الأعمال الأدبية في تيسير الفهم المتبادل بين العمل الأدبي وقارئه. ولذلك، يُرجى أن يحقق هذا البحث عددًا من الفوائد، من أبرزها ما يأتي:

١. الفائدة النظرية

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI

يُرجى أن يسهم هذا البحث في إثراء الرصيد المعرفي في مجال الأدب، ولا سيما في دراسة البلاغة العربية، وبخاصة علم المعاني، وأن يكون مرجعًا للبحوث اللاحقة ذات الصلة بدراسة الاستفهام في الأدب العربي أو بأعمال توفيق الحكيم.

٢ .الفائدة التطبيقية

يُرجى أن يسهم هذا البحث في تقديم الدافع والإسهام العلمي لطلاب برنامج دراسة اللغة العربية وآدابها، وأن يقدم مادةً ومصدرًا للمعلومات، فضلًا عن أفكار ورؤى يمكن الإفادة منها في البحوث اللاحقة.

الفصل الخامس: الدراسات السابقة

لقد أُجريت دراسات عديدة سابقة حول أسلوب الاستفهام في الأعمال الأدبية والنصوص الدينية العربية. ومن هذه الدراسات دراسة (Mahlida, ٢٠٢٥) التي تناولت أسلوب الاستفهام في رواية «ليطمئن قلبي» لأدهم شرقاوي. ولم تقتصر هذه الدراسة على بحث معاني الاستفهام وأنواعه، بل تناولت أيضًا القيم التربوية المتضمنة فيه. وتتشابه هذه الدراسة مع البحث الحالي من حيث موضوع الدراسة، المتمثل في العمل الأدبي العربي النثري، ومن حيث استخدام المنهج البلاغي. وتتمثل إسهامات هذه الدراسة في البحث الحالي في كونها مرجعًا لتحديد أنواع الاستفهام وتصنيف معانيه في الأعمال الأدبية العربية النثرية، فضلًا عن تقديم تصور عن الإطار التحليلي البلاغي الذي يمكن الإفادة منه في دراسة مجموعة المقالية «حماري قال لي.«

كما أُجريت دراسة مماثلة من قِبل (Ismirah وآخرون, ٢٠٢٥) في مقال بعنوان «أساليب الاستفهام في القرآن الكريم الجزءان الحادي عشر والثاني عشر (دراسة تحليلية بلاغية)»، المنشور في مجلة Sarjana Ilmu Budaya التابعة لجامعة حسن الدين. وقد تمكنت هذه الدراسة من تحديد واحد وثمانين موضعًا للاستفهام في أربع وستين آية، بواقع ستة عشر معنى خرجت عن المعنى الأصلي، ومن بينها الاستفهام الإنكاري. وتكتسب هذه الدراسة أهمية منهجية كبيرة بالنسبة إلى البحث الحالي؛ لاستخدامها المنهج البلاغي نفسه. غير أن موضوعها اقتصر على النص القرآني. وتتمثل إسهامات

هذه الدراسة في البحث الحالي في تقديم إطار منهجي منظم لتصنيف المعاني المجازية للاستفهام، ولا سيما في تحديد تنوع المعاني الخارجة عن المعنى الأصلي، مما يمكن أن يجعلها مرجعًا مقارنًا في تحليل الاستفهام في الأعمال الأدبية النثرية.

كما تناولت (Hanifah Anwar وآخرون, ٢٠٢٥) في مقال بعنوان «تحليل ترجمة أسلوب الاستفهام في صحيح مسلم: صلته بقيم علم الاجتماع الإسلامي»، المنشور في مجلة Tadris Al-Arabiyat، استخدام أسلوب الاستفهام في الحديث الوارد في صحيح مسلم، رقم ٢٥٨١. وقد أثبتت هذه الدراسة أن الاستفهام في نص الحديث يؤدي وظائف مجازية، منها التشويق والإفهام. غير أن هذه الدراسة ركزت بصورة أكبر على جانب الترجمة والارتباط الاجتماعي والديني، ولم تركز على التحليل البلاغي المتعمق لأدوات الاستفهام ومعانيه بصورة شاملة في العمل الأدبي. وتتمثل إسهامات هذه الدراسة في البحث الحالي في تقديم فهم للوظائف المجازية للاستفهام، ولا سيما معنيي التشويق والإفهام، مما يسهم في إثراء الرؤية التحليلية عند دراسة المعاني المجازية للاستفهام في مجموعة المقالية «حماري قال لي.«

وأجرى (Fasya, ٢٠٢٥) دراسة أخرى في رسالته الجامعية المعنونة: «الجملة الاستفهامية في رواية سقوط الإمام لنوال السعداوي (دراسة معانية)». وتناولت هذه الدراسة الجمل الاستفهامية الواردة في رواية «سقوط الإمام» لنوال السعداوي، بالاعتماد على منهج علم المعاني. وقد انصبّ تركيزها على جانبين، هما تحديد أدوات الاستفهام المستخدمة في الرواية، وتحليل المعاني البلاغية المتضمنة في الجمل الاستفهامية. وتتمتع هذه الدراسة بأهمية منهجية كبيرة بالنسبة إلى البحث الحالي؛ لاشتراكهما في استخدام منهج علم المعاني لتحليل الاستفهام في الأعمال الأدبية العربية النثرية الحديثة. وتتمثل إسهامات هذه الدراسة في البحث الحالي في تقديم نموذج تحليلي يمكن الإفادة منه، ولا سيما فيما يتعلق بالخطوات المنهجية لتحديد أدوات الاستفهام وتحليل معانيه في الأعمال الأدبية العربية النثرية بالاعتماد على منهج علم المعاني.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

ومن الدراسات الأخرى ذات الصلة دراسة (Hidayat, ٢٠٢٥) في رسالته الجامعية المعنونة: «الاستفهام في رواية زيني بركات لجمال الغيطاني (دراسة في علم المعاني)». وتناولت هذه الدراسة الجمل الاستفهامية الواردة في رواية «زيني بركات» لجمال الغيطاني، بالاعتماد على منهج علم المعاني، مع التركيز على جانبين رئيسين، هما تحديد أدوات الاستفهام المستخدمة في الرواية، وتحليل معاني الاستفهام الواردة فيها، سواء أكانت معاني حقيقية أم مجازية. وتتشابه هذه الدراسة مع البحث الحالي تشابهًا وثيقًا؛ لاشتراكهما في استخدام منهج علم المعاني لتحليل الاستفهام في الأعمال الأدبية العربية النثرية الحديثة، مع شمول موضوع الدراسة لأدوات الاستفهام ومعانيه. وتتمثل إسهامات هذه الدراسة في البحث الحالي في توفير أساس مقارن قوي، من حيث الإطار النظري وإجراءات التحليل، فضلًا عن تعزيز ملاءمة استخدام منهج علم المعاني في دراسة الاستفهام في الأعمال الأدبية العربية النثرية الحديثة، ومن بينها مجموعة المقالية «حماري قال لي» لتوفيق الحكيم.

وبناءً على عرض الدراسات السابقة، يمكن استنتاج أن دراسة الاستفهام بصورة خاصة في الأدب العربي الحديث، ولا سيما في مجموعة المقالية «حماري قال لي» لتوفيق الحكيم، لم تُجرَ من قبل. ومن ثم، يأتي هذا البحث لسد هذه الفجوة من خلال دراسة صيغ الاستفهام ومعانيه في مجموعة المقالية «حماري قال لي» دراسةً معمقة، بما يسهم في إثراء الدراسات البلاغية العربية في سياق الأدب الحديث.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

الفصل السادس: الإطار الفكري

يقوم الإطار الفكري لهذا البحث على أساس نظري مستمد من علم البلاغة. ويمكن فهم البلاغة على أنها القدرة على إيصال المعنى بوضوح من خلال التعبير الفصيح الدقيق السهل الفهم، بما يمكّنه من التأثير في السامع أو القارئ. كما تقتضي البلاغة توافق الصيغة اللغوية المستخدمة مع المقام والظروف والجهة المخاطبة (الهاشمي, ١٩٩٤). وقد بيّن الهاشمي سبب تسمية البلاغة بهذا الاسم بأنها إيصال المعنى حتى يبلغ قلب السامع، فيتمكن من فهمه.

وينقسم علم البلاغة إلى ثلاثة مباحث، هي: علم البيان، وعلم البديع، وعلم المعاني، وترتبط هذه العلوم الثلاثة بعضها ببعض في دراسة جمال استخدام اللغة العربية ودقته. ويركز علم البيان على كيفية التعبير عن المعاني من خلال الأساليب اللغوية المختلفة والتشبيهات، في حين يدرس علم البديع جوانب الجمال اللغوي التي تسهم في تحسين التعبير، سواء من حيث المعنى أم اللفظ، أما علم المعاني فيبحث في مدى ملاءمة تركيب الجملة للسياق ومقام التخاطب.

أمّا مِن بينِ فروعِ علمِ البلاغةِ الثلاثةِ، فإنَّ المبحثَ المعتمَدَ منهجًا في هذه الدراسةِ هو علمُ المعاني. وعلمُ المعاني هو العلمُ الذي يقي مِن نشوءِ فهمٍ خاطئٍ لجملةٍ ما، وذلك عبرَ الحفاظِ على صيغِ الكلامِ المتناسبةِ مع مقتضى الحالِ. ولذلك، ستظهرُ اختلافاتٌ في صيغةِ كلِّ جملةٍ تبعًا لاختلافِ الحالِ (السياقِ) (Khamim & Subakir, ٢٠١٨). وبوصفِه علمًا قائمًا بذاتِه، فقد دُرِسَ علمُ المعاني أيضًا مِن زاويةِ إبستمولوجيا فلسفةِ العلمِ، وهو ما يُبيّنُ أنَّ هذا العلمَ يمتلكُ أسسًا تجريبيّةً وعقليّةً وحدسيّةً على السواءِ في تحليلِ اللغةِ (Al Fauzi وآخرون, ٢٠٢٤).

ومن المباحث المهمة في علم المعاني مبحث الكلام، الذي ينقسم إلى كلام خبري وكلام إنشائي. ويركز الباحث في هذه الدراسة على الكلام الإنشائي؛ لأن هذا النوع من الكلام يتسم بتنوع معانيه ووظائفه البلاغية المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بسياق القول. والكلام الإنشائي هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته؛ لأن معناه لا يكون متحققًا في الواقع قبل التلفظ به (عتيق, ٢٠٠٦). وبعبارة أخرى، فإن الكلام الإنشائي هو الكلام الذي يقتضي طلبًا أو معنى يتحقق بعد التلفظ به.

وتندرج تحت الكلام الإنشائي الطلبي أنواع عدة، تشمل الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء. ومن بين هذه الأنواع المختلفة للكلام الإنشائي الطلبي، يُعد الاستفهام من أبرز المباحث التي تستحق الدراسة في علم البلاغة؛ وذلك لأن الاستفهام لا يُستخدم دائمًا في معناه الأصلي بوصفه سؤالًا يراد به الحصول على جواب، بل قد يخرج أيضًا عن معناه الأصلي تبعًا لسياق القول وغرض المتكلم.

والاستفهام في اللغة هو طلب الفهم أو طلب العلم بشيء. أما في دراسة علم البلاغة، فيُفهم الاستفهام على أنه أسلوب من أساليب الكلام يُستخدم لطلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل، وذلك من خلال استخدام أدوات استفهام معينة (Haniah, ٢٠١٣).

وتشمل أدوات الاستفهام في اللغة العربية: الهمزة، وهل، ومتى، ومن، وما، وأين، وأيان، وكيف، وأنّى، وكم، وأيّ. وقد قسم علماء البلاغة هذه الأدوات، من حيث دلالتها، إلى ثلاث فئات. أولًا، الأداة التي تدل على التصور والتصديق معًا، وهي الهمزة. ثانيًا، الأداة التي تدل على التصديق فقط، وهي هل. ثالثًا، الأدوات التي تدل على التصور فقط، وهي سائر أدوات الاستفهام الأخرى غير الهمزة وهل.

وفي أصلِ وضعِه، يعني الاستفهامُ فعلًا طلبَ معلومةٍ غيرِ معلومةٍ. غيرَ أنَّه في الأدبِ والبلاغةِ، كثيرًا ما يكونُ السائلُ عالمًا بالجوابِ فعلًا. ولذلك، يخرجُ لفظُ الاستفهامِ أحيانًا عن معناه الأصليّ، بحيثُ يسألُ المرءُ عن شيءٍ وهو في حقيقةِ الأمرِ يعلمُه مسبقًا. غيرَ أنَّ هذا السؤالَ يُستخدَمُ لأغراضٍ أخرى تُفهَمُ مِن السياقِ وقرائنِ المعنى. ويتّفقُ هذا مع ما توصَّلَ إليه (Azmi وآخرون, ٢٠٢٥)الذي يُؤكّدُ أنَّ الاستفهامَ في القرآنِ الكريمِ كثيرًا ما يردُ لا لطلبِ جوابٍ، بل بوصفِه وسيلةً بلاغيّةً للتقريرِ أو الإنكارِ أو التهكُّمِ أو توجيهِ انتباهِ السامعِ إلى حقيقةٍ ما، كما يتَّضحُ في استخدامِ الاستفهامِ الإنكاريّ في سورةِ فاطر (٣٥): ٣ المؤكّدةِ للتوحيدِ، أو الاستفهامِ التقريريّ في سورةِ التين (٩٥): ٨ المرسّخةِ لعدلِ اللهِ .ومِن أهمِّ تلك الأغراضِ: (الأمر)، (النهي)، (التسوية)، (النفي)، (الإنكار)، (التشويق)، (الاستئناس)، (التقرير)، (التهويل)، (الاستبعاد)، (التعظيم)، (التحقير)، (التعجب)، (التهكم)، (الوعيد)، (الاستبطاء)، (التنبيه على الخطأ)، (التنبيه على الباطل)، (التنبيه على ضلال الطريق) ، (التكثير).

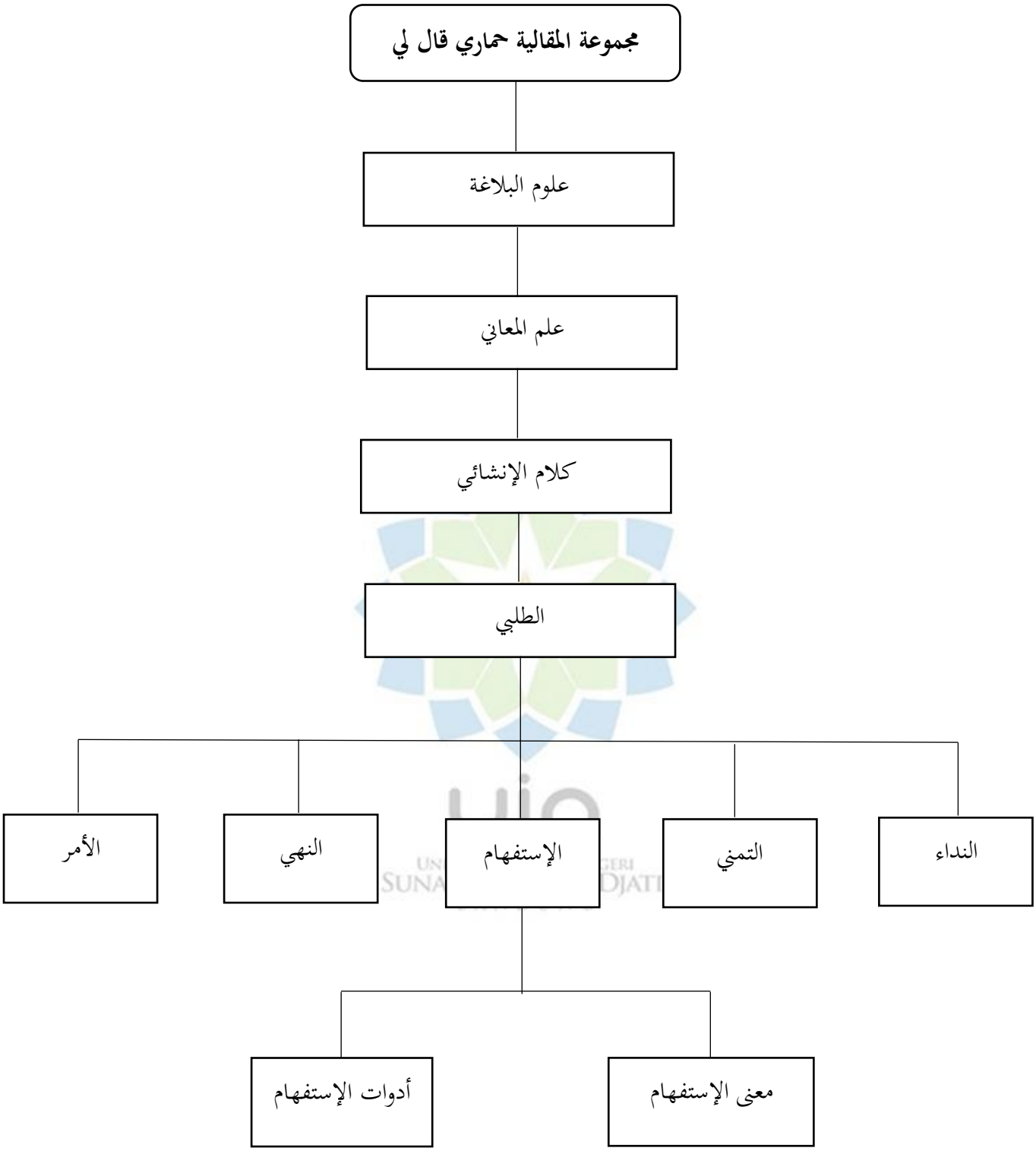
مجموعة المقالية حماري قال لي
علوم البلاغة
علم المعاني
كلام الإنشائي
الطلبي
الأمر
النهي
الإستفهام
التمني
النداء
أدوات الإستفهام
معنى الإستفهام